

أضواء البيان

. @ 140 @

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : { وَمَنْ يَقُولُ مِنْهُمْ إِنْ نَزَّلَهُ اللَّهُ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ } الآية دليل قاطع على أن حقوق الله الخالصة له من جميع أنواع العبادة لا يجوز أن يصرف شيء منها لأحد ولو ملكاً مقرباً ، أو نبياً مرسلًا . ومما يوضح ذلك قوله تعالى : { مَا كَانَ لِلْبَشَرِ أَنْ يُؤْتِيَهِ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبِيَّوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا كُنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا آلَ الْمُؤَلَّكَاتِ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } ، وقوله تعالى مخاطباً لسيّد الحق صلوات الله وسلامه عليه : { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ - وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً - وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ } . ! 77 ! قوله تعالى : { أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ رُضًا كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَاهَا } . قرأ هذا الحرف عامة السبعة ما عدا ابن كثير (أولم ير) بواو بعد الهمزة : وقرأه ابن كثير (ألم ير الذين كفروا) بدون واو ، وكذلك هو في مصحف مكة . والاستفهام لتوبيخ الكفار وتقريعهم ، حيث يشاهدون غرائب صنع الله وعجائبه ، ومع هذا يعبدون من دونه ما لا ينفع من عباده ، ولا يضر من عَمَلِهِ ، ولا يقدر على شيء . .

وقوله { كَانَتَا } التثنية باعتبار النوعين اللذين هما نوع السماء ، ونوع الأرض . كقوله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا } ونظيره قول عمر بن شبيب : إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا } ونظيره قول عمر بن شبيب : % (ألم يحزنك أن جبال قيس % وتغلب قد تباينت) انقطاعاً % .

والرتق مصدر رَتَقَهُ رَتْقًا : إذا سده . ومنه الرتقاء . وهي التي انسدت فرجها ، ولكن المصدر وصف به هنا ولذا أفردته ولم يقل كانتا رتقين . والفتق : الفصل بين الشيئين المتصلين . فهو ضد الرتق . ومنه قول الشاعر : والرتق مصدر رَتَقَهُ رَتْقًا : إذا سده .

ومنه الرتقاء . وهي التي انسد فرجها ، ولكن المصدر وصف به هنا ولذا أفردته ولم يقل
كانتا رتقين . والفتق : الفصل بين الشيئين المتصلين . فهو ضد الرتق . ومنه قول
الشاعر : % (يهون عليهم إذا يغضبو % ن سخط العداة وإرغامها) % (ورتق الفتوق وفتق
الرتو % ق ونقض الأمور وإبرامها) % .
واعلم أن العلماء اختلفوا في المراد بالرتق والفتق في هذه الآية على خمسة أقوال ،
بعضها في غاية السقوط ، وواحد منها تدل له قرائن من القرآن العظيم :